[فصل: وفيها توفي

علي بن هبة الله بن مسعود[١]

أبو الحسن البغدادي البزاز، من أهل باب البصرة.

سمع الكثير ورواه، وتوفي في المحرم، ودفن عند جامع المنصور، وسمع قاضي المارستان، وأبا القاسم بن السمرقندي، وابن ناصر، وغيرهم، ولي منه إجازة.

وكان يتغفَّل، خرج يوماً إلى السوق، ويداه مبسوطتان كأنه يريد أن يعانق شيئاً، فقيل له: ما الذي بك؟ ما تريد؟ فقال: طلبت مني أمي إجَّانة، وقالت: أريدها تكون بهذا القدر، وأنا أمضي لأشتريها لها.

وفيها توفي

علي بن المبارك[٢]

ابن الحسن الواسطي، ويعرف بابن باسوية.

سمع الكثير، وقدم الشام فأقام يُسمع الحديث بدمشق، توفي بها في شعبان، ودفن بالباب الصغير.

فصل: وفيها توفي

شرف الدين النهاوندي الصوفي

شيخ خانكاه شبل الدولة كافور الحسامي بقاسيون، وكان رجلاً صالحاً، كريماً، دَيِّناً، عفيفاً، متواضعاً، حسن السَّمْت][٣].

السنة الثالثة والثلاثون وست مئة

فيها قطع الكاملُ والأشرفُ الفرات، واستعاد الكامل حَرَّان والرُّها وغيرها من بلاد الشرق، وأخرب قلعة الرها، واندفعت عساكر الرُّوم قبل وصوله، ونزل على دُنَيْسر،

(١) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٤/ ٢٨٢-٢٨٥ .

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٩٤. ٣٩٥، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣٤ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (ش).

فأخربها إلا الجامع، واستباحوا الفروج والأموال، وبينا هُمْ على دُنَيْسر جاء كتاب بدر الدين لؤلؤ إلى الأشرف يقول: قد قَطَعَ التتر دِجْلة في مئة طلب، [كل طُلْب][1] خمس مئة فارس، ووصلوا إلى سنجار، فخرج إليهم معين الدِّين بن كمال الدين بن مهاجر، فقتلوه على باب سنجار، فقطع الكامل والأشرف الفرات إلى ناحية دمشق، ورجع التتر، ولما قطعا الفرات عادت عساكر الرُّوم.

وجاءت الخوارزمية إلى صاحب مارِدِين، فنزل إليهم، وأحرقوا نصيبين، وفعلوا فيها أعظم ما فعل الكامل بدُنَيْسر، وتوجَّهت العساكر، فنازلوا آمد، وخرجت السنة والحصار عليها، وفتحت في السنة الآتية.

وفيها توفي

الحسن بن محمد القاضي، القَيْلوبي[2]

وقيلوبية؛ قرية من قرى بغداد، الكاتب الفاضل.

ولد [بالنِّيْل][1] بالعراق سنة أربعٍ وستين وخمس مئة، وكان كثيرَ الأدب، مليح الخط، عارفاً بالتَّواريخ وأيام الناس، حَسَنَ العبارة، متواضعاً، دَيِّناً، صالحاً، وكان الأشرف يحبُّه، ويعتقدُ فيه.

[وحكى لي ولده نجم الدين أبو الحسن علي بقاسيون في سنة تسع وأربعين وست مئة، قال][3]: سألتُ أبي: كم كتبتَ؟ فقال: مقدار ألفي مجلدة ما بين صغير وكبير، وكتبت «الصّحاح» ست نسخ، وذَيَّل على «تاريخ» أبي القاسم السِّمْناني، وكتابه أحسن، [وكان يسب القاضي شريح][1]، وتوفي بالشَّام ثالث عشر ذي القَعْدة، ودفن بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٤٢٢-٤٢٣، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) في (ح): وقال ولده نجم الدين...، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

محمد بن نَصْر بن عُنَيْن، الزُّرَعي[١]

أصله من حَوْران، وكان خبيث اللِّسان، هجاءً، فاسقاً، متهتكاً، عمل قصيداً سماها «مقراض الأعراض» خمس مئة بيت، لم يفلت أحدٌ من أهلِ دمشق منها بأقبح هَجْو، ونفاه صلاحُ الدِّين إلى الهند، فمضى، ومدح ملوكها، واكتسب مالاً، وعاد إلى دمشق، [وخدم في ديوان المعظَّم، وكان من أكبر سيئاته، وكانت مجالسه معمورة بقبائحه وَهَناته، وقد ذكرنا ذلك][٢] ومن هجوه لصلاح الدِّين: [من المنسرح]

سُلْطانُنا أعرجٌ وكاتِبُهُ ... ذو عَمَشٍ والوزيرُ منحدبُ
وصاحبُ الأمرِ خِلْقُهُ شَرِسٌ ... وعارضُ الجيش داؤه عَجَبُ
والدَّوْلَعيُّ الخطيبُ مُعْتكِفٌ ... وهو على قشر بيضةٍ يَثِبُ
ولابن باقا وعظٌ يَغُرُّ به النَّا ... سَ وعبدُ اللطيفِ محتسِبُ[٣]

ولما نفي كتب من الهند إلى دمشق: [من الكامل]

فعلامَ أبعدتم أخا ثقةٍ ... لم يجترمْ ذنباً ولا سَرَقا
أنفوا المؤذِّنَ من بلادكُمُ ... إنْ كان يُنفى كلُّ مَنْ صدقا[٤]

وحضر يوماً بخراسان مجلسَ فخر الدين الرَّازي وهو يعظ، فجاءت حمامةٌ خَلْفها جارحٌ، فألقت نفسها على الفخر، فقال ابنُ عُنَيْن بديهاً: [من الكامل]

جاءت سليمانَ الزَّمانِ حمامةٌ ... والموتُ يلمعُ مِنْ جناحَيْ خاطفِ
قَرِمٌ لواه الجوعُ حتى ظِلُّه ... مِنْ تحته يمشي بقلبٍ خائفِ
مَنْ عَلَّم الورقاءَ أَنَّ محلَّكم ... حَرَمٌ وأَنَّك ملجأٌ للخائفِ[٥]

فرمى عليه فخر الدين جميعَ ما كان عليه، والحاضرون.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٣/ ٣٣٦ـ٣٣٧، و«وفيات الأعيان»: ٥/ ١٤ـ١٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٢/ ٣٦٣، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) الأبيات في «ديوانه»: ٢١٠ـ٢١١ ما خلا البيت الأول، فهو مستدرك من كتابنا هذا.

(٤) «ديوانه»: ٩٤.

(٥) «ديوانه»: ٩٥ مع اختلاف في بعض الألفاظ، وترتيب الأبيات.

ولما عاد إلى دمشق هجا العادلَ، فقال: [من الخفيف]

إنَّ سُلْطانَنا الذي نرتجيه ... واسعُ المال ضيِّقُ الإنفاقِ
هو سَيْفٌ كما يقال ولكنْ ... قاطعٌ للرُّسومِ والأرزاقِ[1]

ولما استخدمه المعظم أقام مدة، ثم كتب إليه يستقيله[من ذلك، فأنشأ يقول][2]: [من الطويل]

أَقِلْني عِثاري وادَّخِرْها وسيلةً ... يكونُ برُحْماها لكَ اللهُ جازيا
كفى حَزَناً أَنْ لستَ ترضى ولا أرى ... فتىً راضياً عني ولا اللهَ راضيا
وكيف أُرَجِّي بعد سبعين حجةً ... نجاةً وقد لاقيتُ فيها الدَّواهيا
أخوضُ الأفاعي طول دهريَ خائفاً ... وكم يتوقَّى مَنْ يخوضُ الأفاعيا[3]

[ولزم السجادة، وانقطع، فبعث له المعظم قنينة خمر وفصوص النرد، وقال: سبح بهذه،][3] ومات عن إحدى وثمانين سنة، وقيل: مات سنة إحدى وثلاثين وست مئة.

أبو الخَطَّاب ابن دِحْية، المغربي[4]

كان في المحدِّثين مِثْلَ ابن عُنَيْن في الشُّعراء، يَثْلِبُ علماء المُسْلمين، ويقع فيهم، ويتزيَّد في كلامه، فترك النَّاس الرِّواية عنه، وكذَّبوه، وكان الكامل مقبلاً عليه، فلما انكشف له حاله أَعْرَضَ عنه، وأخذ منه دار الحديث، وأهانه، فتوفي في ربيع الأول بالقاهرة، ودُفِنَ بقرافة مِصْر.

وكان قد قَدِمَ دمشق، وسأل الوزير ابنَ شُكْر أن يجمع بينه وبين شيخنا تاج الدين، فاجتمعا، وتناظرا، وجرى بينهما البحث في قول العرب: لقيته من وراء وراء. فقال ابنُ دِحْية: لا يقال: وراءُ بالرفع، بل بالنَّصْب. فقال تاج الدين: أخطأتَ بل الصَّحيح

(١) «ديوانه»: ٢٣٩، وهما في المستدرك من شعره.
(٢) ما بين حاصرتين من (ش).
(٣) «ديوانه»: ٩٣ مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(٤) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤٤٨-٤٥٠، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٣٥، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

وراء، بالرَّفع. فَسَفِهَ على شيخنا تاجِ الدين. فقال له: يا مدَّعي، أنت تكتب: وَكَتَبَ ذو النَّسبين بين دِحية والحسين.ودِحية بإجماعِ المحدِّثين ما أعقب، فقد كذبتَ في نسبك.

[قلت: والصَّحيح مع تاج الدين[1]، وقد ذكرها الجوهري، فقال: وراء بمعنى خلف، وقد يكون بمعنى قدام، وهو من الأضداد، وأنشد: [من الطويل]

إذا أنا لم أُوْمَنْ عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراءُ وراءُ][2]

السنة الرَّابعة والثلاثون وست مئة

فيها نزل التتر على إِرْبل بالفارس والرَّاجل، وحاصروها مُدَّة، ونصبوا عليها المجانيق، ونقبوا سورها، ودخلوها عَنْوةً، وقتلوا كلَّ مَنْ فيها، وَسَبْوا وفضحوا البنات، وأخذوا الأموال، وصارتِ الآبار والدُّور قبورَ أهلها، ونتنت المدينة من كَثْرة الجيف، وكان بادكين مملوك الخليفة في القلعة، فقاتلهم، ونقبوا القلعة، وجعلوها أسراباً وطرقاً، وقلَّت عندهم المياه، وماتَ بعضُهم عطشاً، ولم يبق سوى أخذها فمنَّ الله على من بقي من أهلها، فرحلوا عنها في ذي الحِجَّة، وقد عَجَزوا عن حَمْل ما أخذوا من الأموال والغنائم، ثم هرب بعد ذلك بادكين إلى بغداد.

وفيها استخدم الصَّالحُ أيوب الخُوارَزْميةَ الذين بقوا من أصحاب جلال الدِّين، فانضمُّوا إليه، وانفصلوا عن الرُّومي.

وفيها بَدَتِ الوَحْشة بين الكامل والأشرف، وسببه أَنَّ الأشرف طلبَ منه الرَّقَّة، وقال: الشَّرْق قد صار له، وأنا أطلب كل يوم في خِدْمته، فتكون هذه برسم عليق دوابي. وجعل الفلك ابن المسيري واسطةً، فكتب الفلك إلى الكامل يخبره، فكتب الكامل إلى الفلك كتاباً غليظاً شنيعاً. وكان الكامل لما عَزَمَ على أَخْذِ الرُّوم قال أسد

---

(١) عقب أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ١٩٧ ، بقوله: أما اللفظان المتنازع فيهما، فرأيت في «أمالي» أحمد بن يحيى ثعلب جواز الأمرين فيهما، والجر أيضاً .

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).